تاريخ الالحاد:

يظن البعض أن الإلحاد بدأ بعد ظهور داروين بنظرية التطور، ولكن

هذا الاعتقاد خاطئ تماماً، فالإلحاد موجود في التاريخ القديم وموجود أيضاً في الكتاب المقدس .فيقول في مزمور" ١٤ قال الجاهل في قلبه ليس إله"

اي ان هذا الرجل لا يؤمن بوجود علة وخالق للكون.

إن أول هذه الحركات المسجلة تاريخياً للإلحاد كانت في الهند بالتقريب ١٠٠٠(ق.م) ، حيث كانت أول علامات الشك في النص المكتوب "Rig-Veda")أحد المخطوطات المقدسة للديانات الهندية" :(من يعلم عن يقين؟ من يعلنها هنا؟ متى ولد ومتى تكون هذا الخلق؟ الآلهة خلقت بعد ميلاد هذا الكون .إذن من يستطيع أن يعلم من أين نشأ الكون؟ لا أحد يعلم كيف تكون الخلق ولا هل هو) الإله الأعظم (من صنع العالم أم لا .هو من يفحص الكون من السماوات العليا، هو من يعلم، أو ربما هو لا يعلم."والنص هنا واضح وصريح بانه لا يوجد دليل واضح عند الكاتب بان لهذا الكون خالق،ولا يعلم انه وجد قبل الكون ام بعده،كما انه لا يعلم ان احد من الناس لديه هذا العلم.

وبعد ما يقرب من ٥٠٠ عام أخرى ٥٠٠) ق.م (.ظهرت البوذية، والتي استوحت أفكارها من الـ "Rig-Veda حيث حاول بوذا ٤٨٣-٥٦٣) ق.م (.أن ينقل الفكر من التركيز على الآلهه، والتي كان عددها قد جاوز الآلاف في الهندوسية، إلى التركيز على المعاناه الإنسانية والخلاص منها.

فأرجع سبب المعاناه إلى تعلق البشر ورغباتهم، وهي التي تخلق الألم عند عدم تحقق الرغبات، وللتخلص من المعاناه والألم، ينبغي التخلص من الرغبة .وبالتالي الوصول إلى النرفانا، أو اللاتعلق، أو اللارغبة .وفيها يتوحد الإنسان بالكون ويذوب فيه .

وعندما سئل بوذا عن وجود الله لم يجب، فالبوذية لا تختص بالآلهة بل بالمعاناة البشرية وبالتالي لا تحمل أي إجابة عن الله، وهذا ما يصنف في العصر الحديث باللاأدرية."agnosticism"

وفي العصر نفسه تقريباً كانت الفلسفة اليونانية في كل أنحاء القارة الأوروبية، ففي حوالي عام ٤٢٠ ق.م .ظهرت النزعة المادية في اليونان، وبدأ مبدأ الذرات كعنصر أوحد وأساسي للكون في الظهور على يد ديموقريطس"Democritus" ، والذي دفع بنظريته إلى حد أنه ألغى وجود الآلهة في عالم مادي بحت، ويُقال أيضًا إنه من المؤسسين لعلوم الفلسفة والرياضيات ونظرية المعرفة.

و بحلول القرن الرابع قبل الميلاد ٢٧٠-٣٤١) ق.م (.ظهر في اليونان أبيقور "Epicurus"والذي يعتبر أول فيلسوف ملحد ظاهر، وهو الذي أنشأ ولأول مرة "مجادلة الشر "التي تقول:

"هل الله يريد أن يمنع الشر ولكنه لا يستطيع؟ إذن فهو ليس كلي القدرة.

هل هو قادر على منع الشر ولكنه لا يريد؟ إذن فهو خبيث وشرير النزعة.

هل هو قادر ويريد منع الشر؟ إذن من أين أتى الشر؟

هل هو غير قادر ولا يريد منع الشر؟ إذن لماذا نطلق عليه إله؟"

و هذا مما قاده بعد ذلك إلى تبني إلهين، أحدهما للخير والآخر للشر، ويقال إنه لم يؤمن في حياة بعد الموت .وربما كان هذا بداية الحركة الفكرية التي قادت ذرادشت في فارس إلى الخروج بديانة الصراع بين إلهين إله الخير" أهور-مزدا "وإله الشر "أهرمن."

وفي العصر الحديث استنادًا لكتاب" تاريخ الخالق الأعظم A History of God " للكاتب كارين أرمسترونغ، فإنه ومنذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن

التاسع عشر ومع التطور العلمي والتكنولوجي في الغرب بدأت بوادر تيارات أعلنت استقلالها عن فكرة وجود الخالق الأعظم.

هذا العصر كان عصر كارل ماركس وتشارلز داروين وفريدريك نيتشه وسيغموند فرويد الذين بدؤوا بتحليل الظواهر العلمية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية، بطريقة لم يكن لفكرة الخالق الأعظم أي دور فيها.

وبدأ وقتها تبرز فكرة أن" الدين هو من صنيعة البشر ابتكروها لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية أو نفسية أو اجتماعية، وكان الغرض منه تنظيم حياة مجموعة من الناس حسب ما يراه مؤسس الدين مناسبًا وليس حسب الحاجات الحقيقية للبشر..

اعتبر كارل ماركس الدين أفيون الشعوب فهو يجعل الشعب كسولاً وغير مؤمنًا بقدراته في تغيير واقعه كما أن الدين تم استغلاله من قبل الطبقة البورجوازية لسحق طبقة البسطاء.

أما سيجموند فرويد فقد قال" :إن الدين هو وهم كانت البشرية بحاجة إليه في بداياتها وأن فكرة وجود الإله هو محاولة من اللاوعي لوصول إلى الكمال في شخص مثل أعلى بديل لشخصية الأب، إذ أن الإنسان في طفولته حسب اعتقاد فرويد ينظر إلى والده كشخص متكامل وخارق ولكن بعد فترة يدرك أنه لا وجود للكمال فيحاول اللاوعي إيجاد حل لهذه الأزمة بخلق صورة وهمية لشيء اسمه الكمال ."

دورة العقيدة في حياة الانسان

لا شك أن سلوك الانسان نابع بالاساس عما يعتقده من أفكار وتصورات عامة أو خاصة ، حيث أنه يفكر أولاً ثم يترجم ما فكّر به إلى أفعال خارجية (سلوك) . فالانسان العطشان الذي يعتقد بوجود الماء في جهة اليمين مثلاً تراه يبحث عنه فيها لا في غيرها . فإذا خالف اعتقاده وفتش عن الماء في غير الجهة التي يعتقد وجوده فيها فإنه يصبح ملوماً من الآخرين . وهكذا الحال بالنسبة للذي

يعتقد وجود إله للكون يرى جميع تصرفات الانسان ، فتراه يتخذ سلوكاً خاصاً نابعاً من مراقبته لما يعتقد أنه ربه وخالقه . بخلاف من لا يرى أن للكون خالقاً قادراً يرى أفعال الانسان وأنه سوف يحاسبه عليها . وما هذا الخلاف في السلوك إلا لاختلاف عقيدة كلا الشخصين .

وجه الحاجة إلى ابحاث العقيدة

القضايا التي تهم الانسان نوعان :

الأول : يختص بطائفة معينة من الناس كالمسائل الطبية أو الزراعية .

الثاني : لا يختص بطائفة معينة ، بل يهم جميع البشر دون استثناء .

ومسألة الاعتقاد بالخالق للكون هي من النوع الثاني ، إذ توجد في داخل كل انسان مهما اختلفت مشخصاته أسئلة تتردد باستمرار وتبحث عن إجابة ، وهي :

متى وجدت ؟ لماذا وجدت؟ من أوجدني ؟ إلى أين المصير ؟ وغيرها ... وهنا تظهر الحاجة إلى الابحاث الاعتقادية للاجابة عن هذه التساؤلات المطروحة بإلحاح على أبناء البشر بلا استثناء .

التحولات العظيمة في حياة البشر

ولو راجعنا على عجالة تاريخ التحولات والتطورات الكبيرة في حياة الانسان لرأينا أن أهم دافع لتلك التحولات هي العقيدة الدينية ، والتي كانت في ألأغلب هي الملهم والمصدر للعلوم والآداب والفنون ، فضلاً عن أهم المواقف الانسانية التي تجسد مكارم الأخلاق من حب الخير والكرم والشجاعة والايثار وغيرها ، كانت تستمد جذورها ومقوماتها من العقيدة الدينية .

عوامل نشأة العقيدة الدينية

يرى الماديون أن الدين هو ظاهرة اجتماعية تكونت لأسباب اقتصادية أو نفسية ، والحق أن للظواهر الاجتماعية أياً كانت تلك المجتمعات التي تظهر فيها لا بد أن تخضع لقاعدة ثابتة . ولبيانها نقول : أن العادات السائدة والسلوك المتعارف بين افراد المجتمع البشري على نوعين :

الأول – ما يكون لها جذور عميقة في فطرة الانسان ، ويكون التعامل معها امتثالاً لنداء الطبيعة البشرية من قبل الرغبة في الزواج أو السعي إلى تحصيل المال أو السلطة أو الذرية عناية الامهات بأولادهن وغيرها . فإن لهذه الامور وأمثالها جذور عميقة في النفس الانسانية . ولذلك يكون الاخذ بها والتعامل معها عملاً طبيعياً . ولهذا لا يصح السؤال عن علّة وجودها وسبب ظهورها . وكذا لا يصح اختلاق أسباب لها غير العامل الفطري .

فلا يصح أن نسأل متى ظهرت عناية الأم بطفلها ، أو متى عرف الانسان الرغبة بالزواج ولماذا؟

الثاني – ما ليس له جذور في فطرة الانسان ، بل هو أمر عارض لأسباب طارئة ، مثل التشاؤم عند رؤية الغراب ، أو سكب الماء خلف المسافر وغيرها . فإن هذه الظواهر وأمثالها لا ترجع إلى فطرة الانسان وذلك لوجودها عند قوم دون آخرين ، وفي زمان دون غيره من الأزمنة . وحيث أنها لا توافق الفطرة ولا العقل السليم ، صح للباحث الاجتماعي أن يتسائل عن سبب نشوئها ومتى وأين كانت . وجاز له أن يضع لها فرضيات تستند إلى اسباب نفسية أو اقتصادية أو غيرها . فمثلاً يصح منه أن يسأل متى ظهرت حالة التشاؤم من رؤية الغراب ؟ وأين ومن أول الاقوام العاملين بها ؟ ...

والآن لنعد إلى سؤالنا السابق . ما هي أسباب نشوء العقيدة الدينية ؟ وللاجابة على هذا السؤال نعرض مجموعة الفرضيات التي تتبنى أسباباً نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية لنشوء الدين تباعاً :

أبرز النظريات حول نشأة الدين

١- الخوف من غضب الطبيعة :

فقد حاول بعض الماديين تفسير نشأة الدين ، وتصور أن هناك إلهاً عظيماً يلجأ إليه الانسان ليحميه من غضب الطبيعة المدمر والمتمثل بالزلازل والسيول والعواصف وأمثالها . يقول ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة (الخوف أول امهات الآلهة وخصوصاً الخوف من الموت ، فقد كانت الحياة البدائية محاطة بمئات الاخطار وقلّما جاءتها المنية عن طريق الشيخوخة الطبيعية ، فقبل أن تدب الشيخوخة في الاجسام بزمن طويل كانت كثرة من الناس تقضي بعامل من عوامل الاعتداء العنيف او بمرض غريب يفتك بها فتكاً ، ومن هنا لم يصدّق الانسان البدائي أن الموت ظاهرة طبيعية ، وعزاه إلى فعل الكائنات الخارقة للطبيعة . وتعاونت عدّة عوامل على خلق العقيدة الدينية ، فمنها الخوف من الموت ، ومنها تلك الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة أو الاحداث التي ليس في مقدور الانسان فهمها ، ومنها ألأمل في معونة الآلهة والشكر على ما يصيب الانسان من حظ سعيد) .

إلى غير ذلك مما ورد عن أصحاب هذه النظرية وما هو مسجل في كتبهم التاريخية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو النفسية . ولكن الحق أن النظر الدقيق في أقوال أصحاب هذه النظرية يثير في النفس عدة إشكالات أساسية منها :

أولاً : إن هذه الفرضيات ذهنية فقط ولا توجد أدلة واضحة تدعمها وتوجب اليقين بها أو الاطمئنان إليها . فهي تبقى في حيز التخمين والافتراض ولا يمكن لعاقل أن يقتنع بها بلا دليل أو برهان .

ثانياً : من الظلم الفاحش أن ننسب ما كان يتمتع به كبار العلماء من إيمان ديني إلى خوفهم من غضب الطبيعة وهم من عملوا على بيان حقائق أحوال الكون وخاضوا في أسراره . فهل يعقل أن يكون أيمان أمثال أرسطو والفارابي وابن سينا وابن حيان ونيوتن وغيرهم نابع من خوفهم من غضب الطبيعة ؟! ألا يمكن أن يكون ايمان الانسان البدائي على غرار هؤلاء العلماء مبنياً على استدلال عقلي يتناسب مع مداركه وناشئاً من فطرته السليمة ؟

فذلكة وجواب : يدعي الماديون لتقوية هذه الفرضية أن الايمان الديني يبعث في النفوس السكينة والاطمئنان ويهدئ من خوفها وروعها بعد أن سيطر عليها الخوف من الطبيعة ، فهذا الايمان بزعمهم ردة فعل لما يصيب الانسان من مخاوف واضطراب نفسي .

الجواب : أن الايمان الديني بوجود قوة عليا عالمة حية قادرة مطلعة ورحيمة يخفف يقيناً من حالة القلق والاضطراب وتبعث في النفس السكينة والهدوء . قال الله في سورة الانعام آية (٨) : ((**الَّذِينَ** آمَنُوا **وَلَمْ يَلْبِسُوا** إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) إلا أن هذا لا يعني أن الانسان المتدين اخترع فكرة وجود الخالق العظيم لتحقق له مثل هذه الحالة . فالإيمان الناتج عن دوافع الفطرة والعقل السليم شيء وظهور آثار هذا الايمان على الانسان المتمثلة بالهدوء والسكينة شيء آخر . ويبدو أن اصحاب هذه النظرية قد خلطوا بين دوافع العقيدة وآثارها (فالدوافع للإعتقاد بوجود خالق للكون هو ما يراه الانسان من أدلة كثيرة من حوله على وجود الخالق . أما الآثار فهي ما تنعكس على سلوكه من جراء عقيدته ومنها السكينة والاطمئنان) ، حيث تصوروا أن طلب السكينة هو الذي دفع الانسان إلى اختراع فكرة الإله ليعيش في ظلها هذه الحالة . في حين أن حصول حالة السكينة والأمن هو من آثار الايمان الديني . فمن آمن بالخالق العظيم قويت عزيمته وسكنت نفسه لأنه ربطها بقدرته المطلقة وأسند ظهره إلى ركن الشديد .

٢- نظرية الجهل بالعلل الطبيعية .

ذهب بعض الماديين ولتعليل نشوء الاعتقاد الديني إلى فرضية أن الجهل بالعلل الطبيعية هو المسبب في ظهور فكرة الإله . حيث أدعى هؤلاء الماديون أن الانسان القديم عندما يواجه الحوادث الطبيعية كالعواصف والزلازل والخسوف وغيرها وهو لا يتمكن من تفسيرها التجأ إلى اختراع فكرة الخالق المسيطر واعتبره هو العلة في حدوث هذه الحوادث ، ولذلك ترى الانسان قديماً حينما يواجه أمراً لا يتمكن من تفسيره يقول (الله أعلم) أو (أنه حدث بقدرة الله) . ولكن الأنسان الحديث الذي تمكن بالعلم أن يحل الكثير من أسباب هذه الظواهر الطبيعية وتخلص من جهله بها لم يعد هناك ما يدعوه للالتزام بفكرة الخالق التي جائت بسبب جهله بعلل الاشياء .

يقول ويل ديورانت في كتابه قصة الحضارة (تعاونت عدة عوامل على خلق العقيدة الدينية ، منها الدهشة لما يسبب الحوادث التي تأتي مصادفة ، أو الاحداث التي ليس في مقدور الانسان فهمها) .

ومن هنا ذهب الماديون إلى أن العلم يتنافى مع الدين ، لأن العلم عندهم (المقصود به العلم المادي التجريبي) يسند الامور إلى عللها الطبيعية ويكشف عن العلاقات المادية المحسوسة الموجودة بين هذه الظواهر وبين أسبابها ، بينما يسند الدين كل تلك الظواهر إلى علة واحدة غير مرئية .

ولذلك أيضاً يرون أن العلم كلما تقدم كلما زاد خطره على الدين وزادت مكانة الدين اهتزازاً حتى أصبح الدين من أهم أعداء العلم .

وللجواب على هذه الفرضية يمكن القول أن هذه الفرضية ليست بأحسن حالاً من سابقتها لأنه لا دليل مادي (بحسب مبانيهم) يدل على ما يدعون . كما أنه لا يمكن أن نجزم بعدم وجود داعي الفطرة في نفس الانسان القديم حتى ينفرد الجهل سبباً وحيداً لاختراع فكرة الخالق المخلّص . ومن ناحية أخرى يدل هذا الادعاء

على جهل فاحش لدى الماديين بعقيدة الإلهيين . فالانسان المؤمن بالخالق لا يمنعه ايمانه من البحث عن الاسباب المادية للحوادث وإن كان يعتقد حازماً أن هذه الحوادث لا تخرج عن سلطان الله وقدرته . كيف لا وقد ظهر عبر تاريخ المؤمنين الكثير الكثير من العلماء الذين بذلوا الجهود الكبيرة في سبيل كشف أسرار ما يحيط الانسان من مشاهد سواء كانت بين يديه أم فوق رأسه بين النجوم أم في باطن الأرض أو البحار . بل إن جميع من اشتغل في هذا المجال قد زادته معلوماته المكتشفة إيماناً إلى ايمانه السابق لما يراه من دقة في الصنع وابداع في الخلق مما يدل على ان هذا الخلق لا يمكن أن يصدر إلا عن خالق عظيم قادر حليم .

ولو تنزلنا جدلاً معهم بأن الخوف أو الجهل هما من أسباب ظهور الدين فماذا نقول للكم الهائل من العلماء في العصور المتأخرة الذين اكتشفوا ولا زالوا يكتشفون أسباب عوامل الطبيعة وتمكنوا من ترويضها ؟ هل هم جهلاء لأنهم ما زالوا يعتقدون بفكرة الخالف المدبر ، أم أنهم على حق فيما ذهبوا إليه ، وأن الجهل ليس سبباً لظهور الدين بل سببه العقل والفطرة ؟

فرضية توارث العقيدة

وهي فرضية قال بها بعض الماديين لتفسير وجود العقيدة الدينية لدى بنى البشر وملخصها : أن فكرة الدين مما توارثته الاجيال اللاحقة عن الاجيال السابقة حتى وصلت إلينا ، فهي إذن من المورثات القديمة التي لم تعد صالحة لأبناء عصر التطور .

وهذه الفرضية كما ترى في غاية الضعف والبطلان لعدة وجوه منها :

أولاً : إن سريان العقيدة الدينية وانتقالها عبر الاجيال المتعاقبة يدل على رسوخ العقيدة في نفوس الناس وأنها ملازمة لأفكار ونفوس البشر ولا يمكن تصور انفكاكها عنها ، وهي تمثل حاجة أساسية من حاجيات الانسان كالأكل والشرب

والامان وغيرها . وبهذا تكون العقيدة الدينية أمراً واقعياً ذاتياً لا أمراً عرضياً قابلاً للزوال .

ثانيا : إن أقصى ما يمكن أن نستفيده من هذه الفرضية هو أن انتقال هذه العقيدة عبر الاجيال يمثل توارثاً فكرياً ، وهذا لا يقدم لنا تفسيراً لنشوء العقيدة الدينية وهي محل كلامنا . وعليه فتكون هذه الفرضية غريبة عن محل الكلام .

ثالثاً : إن نفس فكرة التوارث التي قامت عليه الفرضية لم يقم دليل عليها فضلاً عن صحتها . فلو راجعنا تاريخ الامم السابقة لوجدنا الكثير من صور التعامل الرافض لهذه الفكرة خصوصاً مع الانبياء ، حيث جابهتهم أقوامهم بأن ادعاءاتهم من أساطير الأولين . أي أنهم لا يؤمنون بما ورد إليهم على لسان الانبياء من عقائد دينية . ((وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) (الانفال آية٣١) مع ملاحظة أن نفس دعوى الانبياء تمثل خير دليل على بطلان هذه النظرية لأنهم رفضوا كل الموروثات الدينية الباطلة التي وجدوها وأعلنوا دعوتهم إلى فكرة واحدة صريحة هي الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد .

فرضية العامل الاقتصادي

وتعتبر هذه الفرضية من أهم الفرضيات وأقواها التي فسرت نشوء العقيدة الدينية عند الناس ، حيث يرى أصحابها أن الاقتصاد هو السبب الاساس لظهور الحالة الدينية ، وأن الدين ما هو إلا ردة فعل وانعكاس لما يسود المجتمع من أوضاع اقتصادية بائسة تشمل عموم الفلاحين والعمال . حالها في ذلك كبقية الظواهر الاجتماعية الاخرى التي تنجم عن تأثيرات عوامل السوق ووسائل الانتاج . فالدين كما يراه أصحاب هذه الفرضية كان أما آلة طيعة بيد المستغلين المتسلطين على رقاب الناس لغرض اخماد كل ثورة أو تحرك من قبل المحرومين للخلاص من ظلمهم وقسوة تعاملهم ونهب حقوقهم . وإما كان الدين بمثابة مرهم مسكن

لجروح وعذاب هؤلاء المحرومين يلجئون إليه لتخفيف ما يشعرون به من ألم جراء قسوة الحكام وناهبي ثروات الشعوب ، كما يجعلونه مبرراً للسكوت عن سوء أوضاعهم وعجزهم عن أصلاحها . وهذا هو ما قصده ماركس بقوله (وما القوانين والقواعد الاخلاقية والاديان بالنسبة إلى العامل إلّا أوهام برجوازية تستتر خلفها مصالح برجوازية) ولينين بقوله (الدين أفيون الشعوب ، والدين ورجل الدين يخدّران أعصاب المظلومين والفقراء ويجعلانهم يخضعون للظلم) (عن كتاب النظام الشيوعي) .

ويمكن الجواب عن هذه الفرضية بعدة نقاط نذكر منها :

أولا: إن دعوى أن الحكام الظلمة هم من اخترعوا الدين ونقلوه إلى عامة الناس لضمان استمرار استغلالهم دعوى بلا دليل علمي يدل عليها .فالواقع يدل على أن كلا الطبقتين الحاكمة والمحكومة كانتا متشاركتين في امتلاكهما لهذه العقيدة الدينية . بل أن الابحاث الاثرية الحديثة تدل على أن الدين كان موجوداً منذ القدم عند الانسان يوم لم يكن هناك طبقة حكام ومحكومين بهذا الشكل المعروف الآن حيث لم تظهر الحاجة حينها إلى استغلال الحاكم للمحكومين ، وهذا يدل على أن الاقتصاد وعوامل الانتاج والسوق لم يكن لها أثر في ظهور الدين كما يزعمون .

ثانياً : إن ما ذكره أصحاب هذه الفرضية لا يعد كونه تحليلاً ووصفاً لحالة استغلال بشعة قام بها اناس ضد آخرين . وهذا الكلام خارج عن بحث أسباب نشوء الدين (وهذا من أهم الحجج التي يتشبث بها الملحدون لأثبات فساد العقيدة الدينية وبطلانها) .

ثالثاً : إن المراجعة التأريخية الشاملة لعموم أدوار تاريخ البشرية يظهر لنا بوضوح أن أكبر حركات التحرر وأعظم الثورات البشرية إنما كانت بقيادة وتوجيه الدين ورجال الدين ، فكيف يكون الدين مخدّراً للشعوب وأفيون لها للصبر على ظلم الظالمين وتحمل أذاهم بلا موجب ، فأنبياء الله جميعاً كانوا خير المصاديق للثأر على كل أشكال الظلم والجور السائد في مجتمعاتهم ، فمثلاً حركة نبي الله ابراهيم

ضد النمرود وحركة نبي الله موسى ضد فرعون ودعوة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ضد قوى الظلم والجهل والاستغلال القريشي ، وحركات الاصلاح الكبيرة التي قادها أنبياء الله لوط ونوح ويوسف وعيسى وأيوب وصالح وغيرهم (سلام الله عليهم أجمعين) . أما نهضة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام الاصلاحية فلا يمكن لمنصف أن ينكر أنها في مقدمة حركات التحرر العالمية التي جاءت لاخراج الانسان من ظلم الانسان حتى أشاد بها (وهي غنية عن الاشادة) جميع أحرار العالم .

رابعاً: إن اصحاب المصالح الخاصة والذين يستغلون الآخرين لا يهمهم إلا ضمان استمرارية تلك المصالح وهم يتوسلون بأي طريقة لضمانها ، فتراهم تارة يتلبسون بلباس الدين وأخرى يتلبسون بلباس العلمنة والعصرنة وثالثة بلباس المحافظة على التراث ، وغيرها فالمهم عندهم المحافظة على مصالحهم بأية وسيلة ، والحال هذه فكيف ندعي أن الدين وجد فقط لتمكين الحكام من استمرار سيطرتهم على المحكومين واستغلالهم ؟

خامساً: إن تأكيد أصحاب هذه الفرضية وبهذه القوة يجعلنا نقول أنها قضية منطبقة على أفرادها على نحو الموجبة الكلية (كما يقال في علم المنطق) ، فإذا أوجدنا مصداقاً واحداً خلاف ما يدعون كانت قضيتهم غير كلية أي موجبة جزئية وعليه فلا يصح الادعاء أن عوامل الاقتصاد وهو السبب الوحيد في ظهور الدين . والسؤال هنا هل فعلاً أنه لا يوجد في جميع طبقات الاغنياء والحكام من لا يؤمن بعقيدة دينية ؟

فرضية فطرية الدين عند الانسان : يدعي أصحاب فكرة الدين أن سبب نشوئه هو وجوده في فطرة الانسان حين ولادته ، وأن الانسان لا يحتاج الى من يدعون لاتخاذ دين ومعبود ، بل ان هذا الامر مغروس في داخل نفسه ووجدانه ، نعم قد يضعف لسبب من الاسباب ولكنه لا يختفي أبداً ، كما أنه قد يقوى ويزداد وضوحاً بسبب ما

يضاف اليه من عوامل قوة كالبراهين العقيلة والارشادات الاخلاقية ، ولبيان ذلك نحتاج إلى مقدمات .

المقدمة الأولى : إن أفعال الانسان تتنوع إلى عدة أنواع :

١- أفعال اكتسابية يأخذها من محيطه عن طريق التعلم بنفسه او بواسطة معلم حتى تصبح هذه الافعال ملازمة له وربما لا يستطيع ان يستغني عنها مثل شرب السيكار وشرب الشاي وتعلم الكتابة او الرماية وغيرها .

٢- الافعال الطبيعية ، اي التي تقتضي طبع الانسان القيام بها كردود الافعال الارادية مثل قبض اليد حين وخزها .

٣- الافعال الغريزية النابعة من الطبيعة المشتركة بين الانسان والحيوان ، كالرغبة في الجنس الآخر ، واجتناب الخطر وغيرها .

٤- الامور الفطرية التي فطر الانسان عليها ووجدت معه حين ولادته ثم تبدأ بالنمو والتكامل تدريجياً مثل حبه للعلم والكمال والفن والجمال وغيرها .

فهذه الافعال باستثناء الاكتسابية تشترك جميعها بأنها نابعة من عمق الخلقة البشرية ، وإن كان بينها بعض الفروقات فردود الافعال تتحقق بدون علم صاحبها أو ارادته بخلاف البقية ، أما الامور الغريزية فإنها تصدر عن الحيوانات عن علم ووعي ، غير أنه يسيطر على جميع تصرفاته بحيث لا يستطيع ان يجد منها مهرباً . فالعنكبوت حينما ينسج بيته والطير عندما يهاجر وغيرها كلها أمور تقتضيها طبيعة الحيوان وهي تصدر عنه بعلم ووعي لكن بلا اختيار .

وهذا بعكس الانسان فإنه قادر على أن يتحكم بغرائزه والسماح لها بالظهور متى أراد ذلك وعن علم ووعي ، فهو ليس أسيرا لها بل هو الحاكم والقائد لها ، نعم يمكن ان يسلم بعض الناس قيادهم لشهواتهم وهذا لا يخرج الانسان عن كونه قادراً على التحكم بها والسيطرة عليها .

أما الامور الفطرية فهي تصدر عن الانسان بوعي واختيار ، فحب التعلم والاطلاع وإن كان له جذور في أعماق الانسانية الا ان يُحدّ منه فيبقى في ظلمة الجهل ولا يسير خلف تحصيل المعرفة والاطلاع .

المقدمة الثانية : معنى الامر الفطري :

يمكن تقسيم جميع الامور الحياتية السائدة إلى قسمين هما :

أ- ما يكون تعامل الانسان معه صادر عن طبيعته البشرية وبداعي أصل خلقته من دون أي تدخل خارجي سواء أكان هذا التدخل اقتصادي ام جغرافي أم سياسي أم غيرها ، وترى الانسان بطبعه ينساق خلف هذه الامور بغض النظر عن مكانته العلمية والاجتماعية والاقتصادية وفي كل مكان أو زمان ، فهذه الامور ملازمة لطبع الانسان كما إن الزوجية ملازمة للعدد اربعة وفي كل الظروف والاحوال . مثال ذلك ما نراه من الحنان الذي تبديه الأم تجاه وليدها . فهذا الحنان الصادر من الام أمر فطري يصدر عن جميع الامهات اينما كانت تلك الامهات ومهما اختلفت الظروف والاحوال التي يمررن بها . وكذلك ما نراه من ميل عموم الناس إلى حب الخير والعدل ونفورهم عن الشر والظلم .

ما نراه هو سلوك عام ورغبة شاملة ودائمة يتساوى فيها جميع بني البشر ولا تنحصر في زمان دون آخر أو مكان دون غيره ، ويشهد على ذلك سعي عموم البرية على اختلاف أدوارها لتحقيق العدل والمساواة ونشر الخير والسلام بين الجميع ، بل أن حتى الظالمين منهم تراهم ينادون بالعدل والحق والخير وما ذلك إلا لرسوخ هذه القيم في فطرة الانسان .

ب – ما يكون تعامل الانسان بها ناتج عن ظروف وأحوال خارجة على طبعه بحيث لو تغيرت هذه الظروف او اختفت لرأيته يعدل عن هذه الافعال ولم ينجر ورائها . فهي مفروضة عليه من الخارج وليست نابعة من داخله . مثال ذلك ما نراه

من اختلاف الناس في اختيارهم لكيفية الملبس وشكل المسكن وحجمه ومكانه ونوعية الاطعمة والأشربة أو اختيارهم لنوعية نظام الحكم في مجتمعاتهم فكل هذه الامثلة وغيرها الكثير أموراً لا دخل للفطرة البشرية بها بل انها تابعة للظروف الخارجية المحيطة بالانسان وهي التي تحدد كيفية تعامل الانسان معها .

وبعد هذا البيان لنا أن نتساءل : هل الدين يدخل في الامور الفطرية التي تنتح من طبيعة البشر وخلقتهم أم انه من الأمور العادية التي توجد في سلوك الناس جراء عوامل مختلفة خارجة عن طبيعتهم وخلقتهم .

والاجابة عن هذا التساؤل يمكن ان تتضح من خلال مراجعتنا السريعة لمراحل التأريخ الانساني ، حيث نرى فيه بوضوح تام أن ظاهرة التدين موجودة ومنتشرة ولا يخلو منها مجتمع تم تسجيل آثاره بحسب التنقيبات الاثارية وبغض النظر عمّن كانوا يعبدون ، فالتدين إذن موجود في كل المجتمعات والاعصار ، وهذا دليل على ان التدين أمر فطري . ومن ناحية أخرى فإن الدين لا يمكن أن يكون وليد حاجات خاصة وعوامل محيطة بذات الانسان ، لانه لو كان كذلك لرأيت الناس قد اختلفوا تبعاً لاختلاف حاجاتهم وما يحيط بهم – إلى متدين (بالمعنى الأعم) وغير متدين ، وهذا ما لم نره قط ، وهذا الأمر ايضاً يدل على فطرية الدين وأنه مما لا يولد نتيجة لعوامل المحيط الخارجي الذي يحيط بالانسان .

\

الفصل الثاني

كيفية نشوء الكون :

لم يزل الانسان ومنذ القدم يطرح على نفسه مجموعة من الاسئلة الكبيرة ، ومحاولا ايجاد إجابات شافية عنها ، وخلال بحثه عن تلك الاجابات ظهرت أمامه مجموعة من الافكار والفرضيات تصلح أن تكون جواباً لهذه الاسئلة عند البعض دون البعض الآخر . ومن أهم هذه الاسئلة هو كيف نشأ الكون ومتى ولماذا أو من المسئول عنه ؟ ويمكن لنا أن نذكر في هذا المجال أهم فرضيتين هما :

١- فرضية الخلق والتدبير .
٢- فرضية المادة والصدفة .

وقبل الخوض في بيان هاتين الفرضيتين وذكر الادلة عليها الابر من ذكر ما هو المقصود من الدليل وبيان اقسامه وأي الادلة يفيدنا في اثبات المطلوب ؟

طالما سمعنا من الماديين قولهم انهم يؤمنون فقط بالدليل العلمي ولا يؤمنون بما يرويه الناس من الاعتماد على(الدليل العقلي) ويبدو من هذا البيان انهم يعانون من مشكلة عدم الفهم الصحيح لمعنى الدليل العلمي الذي يؤمنون به ويجعلونه الفيصل في حل جميع نزاعاتهم الفكرية ، لذا لزم علينا اولا التعرض لبيان معنى العلم واقسامه ، ومعنى الدليل العلمي وانواعه المعتمدة عند الاوساط العلمية ثانيا.

تعريف العلم:

هو ادراك العقل لمعاني الاشياء.او انطباع صورة المعلوم لدى العالم.ومن هذا التعريف يتبين لنا ان العلم (وليس الوهم) هو ما يمكن للعقل البشري ان يدركه ويفهمه ويتصوره بأية طريقة كانت سواء كان هذا الإدراك حاصلا للعقل بنفسه من دون حاجة الى التدخل من جهة خارجية كما في الدليل العقلي ، او يكون هذا الادراك بتوسط جهة خارجية كالحواس الخمسة.اما الوهم فهو وان كان للعقل

امكانية تصوره ، الا انه لا يمكن جعله في مجموعة العلم لانه ببساطة خلاف الواقع، كمن يرى سرابا من بعيد فيحسبه ماء وما هو بماء.

اقسام العلم:

يقسم العلم الى قسمين اساسيين فقط هما:

العلم الحضوري:

ويقصد به أن يحضر المعلوم بنفسه لا بصورته لدى العالم.كإحساس الإنسان بالفرح أو الجوع مثلا.فهو في أمثال هذه الحالات يكون عالما انه جائع وهذا العلم جاء من حضور وحصول الجوع بنفسه لديه وإحساسه به.

العلم الحصولي:

وهو العلم الحاصل من حضور صورة ومعنى الشيء لدى العالم وليس نفس الشيء المعلوم.كعلمك بصورة البيت الذي بناه المهندس ورأيت صورته ولم تره بنفسه. او صورة الجوع الذي كان عندك قبل ساعة وأنت ألان شبعان.

تعريف الدليل العلمي:

هو كل ما يستدل به على ثبوت او نفي أمر ما ويخلق في النفس حالة اليقين،كإثبات وجود النهار من خلال النظر الى الشمس.

أقسامه:يقسم الدليل العلمي إلى أقسام هي:

الدليل الحسي:

وهو الذي يعتمد على الحواس في إثبات او نفي المطلوب كمثال ثبوت وجود النهار السابق.

الدليل العقلي او الذاتي:وهو الدليل الذي يعتمد في إثبات المطلوب على قدرات العقل بدون تدخل او استعانة من الحواس الخارجية كالسمع او البصر او غيرهما.كإثبات

وجود الروح او خالق الكون،فان هذه المسائل لا يمكن الاعتماد على الحس فقط لإثبات أو نفي وجودها.

الدليل الرياضي:

وهو الدليل الذي يعتمد على علم الرياضيات في اثبات ما يريد اثباته او نفيه،وهو ادق الادلة العلمية.كاثبات ان مجموع زوايا المثلّث360 درجة حيث ان هذه المسئلة وامثالها لا يمكن التعامل معها بالحس او العقل فقط.

أولاً : فرضية الخلق والتدين

تقوم هذه الفرضية على أن هذا الكون بكل ما فيه من موجودات هي مخلوقة لخالق واحد عظيم قادر وعاقل عالم مدبر . وأنه لا مجال للخطأ والسهو والاشتباه فيما يخلق ، وأنه هو العلة لجميع العلل الموجودة . وقد قامت على ذلك أدلة كثيرة وبراهين عديدة تتناسب مع جميع الناس على اختلاف مستوياتهم الذهنية والفكرية ، ومن أبرز هذه الادلة هو دليل النظام الذي يحتوي مقدمتين أحداهما حسية تعتمد على حواس الانسان . والاخرى عقلية محضة ، كما أن هذا الدليل يمكن للجميع على اختلاف تخصصاتهم العمل به والاعتماد عليه خصوصاً في المقدمة الحسية التي تعتمد كثيراً على علوم الطبيعيات والتجريبيات في اثباتها ، واليك الدليل بعد بيان ثلاثة نقاط مهمة وهي :

أ- <u>لكل علة معلول :</u> وهذا قانون ثابت يتفق عليه الجميع بلا استثناء ولا ينكره إلا من به مس من الجنة أو معاند مكابر فلا يمكن للماء ان يسخن بلا مصدر حراري ، ووجود النهار لا يكون إلا بعد وجود الشمس ، وغيرها من الامثلة.

ب-إن هذا الكون بأجمعه خاضع لمجموعة من النظم والقوانين الدقيقة الثابتة ، وهذا ما تتكفل به العلوم الطبيعية حيث اكتشف علماء الطبيعة الكثير من هذه القوانين كالجاذبية والحرارة.

ت-إن العقل يحكم بالبداهة بأنه من المستحيل أن يتم ايجاد هذا الكون المنظم الدقيق والبديع بلا مدبر عالم عاقل ، ولا يصح عقلاً أن نسند خلق الكون للصدفة العشوائية أو المادة الجامدة التي لا حياة فيها فضلاً عن العقل والعلم .

وعلى هذا فيكون برهان النظم كالآتي :

١- المقدمة الصغرى : إن الكون بأسره خاضع لنظام دقيق ، وهذا ما أثبته العلوم الطبيعية التي قدمت لنا نماذج من القوانين الكونية شتى المجالات .

٢- المقدمة الكبرى : إن هذا الكون المبني على هذا النظام الدقيق لا يمكن إلا أن يكون معلولاً لعلة حية عاقلة عالمة بالقوانين الكونية وهي التي خلقت تلك القوانين وجعلتها بما يناسب وضع الكون ، كما يمتنع عقلاً أن يكون هذا الكون معلولاً لصدفة عشوائية أو مادة صماء جامدة .

<u>وقفة مع الالهيين والماديين :</u>

يتفق الالهيون والماديون فيما بينهم على أنه لا بد لهذا الكون بكل ما فيه من ظواهر طبيعية من علة انتجته بهذا الشكل المتناسق وأخرجته من كتم العدم إلى صفحة الوجود . ومن ناحية أخرى فانهم مختلفون في حقيقة هذه العلّة وصفاتها ، حيث يعتقد الالهيون بأن علة الوجود هو الله الخالق العظيم المدبر الحكيم ، بينما يذهب الماديون إلى أن العلة لحدوث الكون هي الصدفة العشوائية او المادة الصماء التي لا حياة فيها .

هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون :

كيف لنا أن نميز بين الفعل الذي يصدر من الخالق العالم ، وبين الفعل الذي يصدر من الصدفة العشوائية ؟ او ببيان اكثر دقة واختصاراً : ما هي الضابطة فيما ينتجه العقل وما ينتجه اللاعقل ؟

والحق أن ما لا يحصى من التجارب والحوادث اليومية قد أثبت بما لا يقبل الشك بأن كل فعل يتسم بالنظام والتناسق ويخضع لمقاييس دقيقة وحسابات مثل هذه الافعال إلى الصدفة لأنها أعجز من أن تكون المنشأ للنظام الصغير السائد في حجرة صغيرة فضلاً عمًا يسود المعمل الكبير من نظام او ضبط عالي المستوى وفضلاً عما نراه من نظام عظيم هائل في زوايا الكون الواسع . في حين أثبت كل التجارب والحوادث اليومية أيضاً أن كل ما نراه من عشوائية وفوضى انما هي وليدة عوامل غير عالمة وفاقدة للاحساس كعبث الاطفال في ملابسهم والعابهم وما ينتج من الزلازل وغيرها . وللتمييز أكثر نورد بعض الامثلة :

أ- لو كلفنا شخصين بكتابة بيت من الشعر القديم وأعطينا لكل منهما آلة كاتبة وكان أحدها يجيد الكتابة وكذا استعمال الآلة الكاتبة بعكس الآخر الذي لا يجيد الكتابة والقراءة فضلاً عن اجادته للآلة الكاتبة ، فاننا سنرى الأول يقوم بكتابة البيت الشعري بسرعة ومهارة ودقة بخلاف الثاني فان كل ما ينتجه هو مجموعة عشوائية فوضوية من الحروف التي لا يفهم منها شيء حتى وان استغرق الثاني سنوات في عمله ، وما ذلك الا لأنه الاول ولأنه كان عالماً بما يقوم به فقد صدر عنه عمل منظم منسق متتابع ، بينما الثاني ولأنه لا علم له بما يقوم به كان نتاج عمله هو الفوضى والخراب .

ب-إذا نظرت عزيزي القارئ إلى الكتاب الذي بين يديك الآن ، فهل تشك ولو للحظة واحدة بأن هذا الكتاب لولا تظافر جهود مجموعة كبيرة من العلماء والخبراء هل كان يمكن أن يصل إليك بهذه الحالة التي تمكنك من الاستفادة منه .

جـ - كتب كلود.م.هاثاوي وهو مستشار هندسي _ حاصل على درجة الماجستير من جامعة كولورادو - مستشار هندسي بمعامل شركة جنرال الكتريك - مصمم العقل الإلكتروني للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لانجي فيلد - اخصائي الآلات الكهربائية والطبيعية للقياس في مقال له :- ((ان المهندس يتعلم كيف يمجد النظام، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم ان يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين، انه يقدر الابداع بسبب ما واجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول ان يضع تصميما جديداً. لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكتروني يستطيع ان يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية (الشد في اتجاهين). ولقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الأنابيب المفرغة والأدوات الكهربائية والميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجم اكبر (بيانو). ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية في لانجلي فيلد تستخدم هذا المخ الإلكتروني حتى الآن. وبعد اشتغالي باختراع هذا الجهاز سنة أو سنتين، وبعد ان واجهت كثيرا من المشكلات التي تطلبها تصميمه ووصلت إلى حلها، صار من المستحيلات بالنسبة إليّ ان يتصور عقلي ان مثل هذا الجهاز يمكن عمله وصنعه بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم .وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والإبداع والتنظيم. وبرغم استقلال بعضها عن بعض، فإنها متشابكة متداخلة، وكل منها اكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها، ومن ذلك المخ الالكتروني الذي صنعته. فاذا كان هذا الجهاز يحتاج إلى تصميم افلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيمي البيولوجي الذي هو جسمي، والذي ليس بدوره الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه، إلى مبدع يبدعه؟ ان التصميم أو النظام أو الترتيب، أو سمها ما شئت لا يمكن ان تنشا الا بطريقين: طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم. وكلما كان النظام اكثر تعقيدا، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة. ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا ان

نسلم بوجود الله . أما النقطة الثانية التي اريد ان أشير إليها في هذا المقام، فهي ان مصمم هذا الكون لا يمكن ان يكون ماديا. وانني أعتقد ان الله لطيف غير مادي. وانني أسلم بوجود اللاماديات، لانني بوصفي من علماء الفيزياء اشعر بالحاجة إلى وجود سبب أول غير مادي. ان فلسفتي تسمح بوجود غير المادي، لانه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية، فمن الحماقة اذن ان أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول اليه، وفوق ذلك فان الفيزياء الحديثة قد علمتني ان الطبيعة اعجز من ان تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها .وقد أدرك سير اسحاق نيوتن ان نظام هذا الكون يتجه نحو الانحلال، وانه يقترب من مرحلة تتساوى فيها درجة حرارة سائر مكوناته، ووصل من ذلك إلى انه لابد ان يكون لهذا الكون بداية، كما انه لابد ان يكون قد وُضع تبعا لتصميم معين ونظام مرسوم، وأيدت دراسة الحرارة هذه الآراء وساعدتنا على التمييز بين الطاقة الميسورة والطاقة غير الميسورة، وقد وجد انه عند حدوث اي تغيرات حرارية فان جزءا معينا من الطاقة الميسورة يتحول إلى الطاقة غير الميسورة، وانه لا سبيل إلى ان يسير هذا التحول في الطبيعة بطريقة عكسية، وهذا هو القانون الثاني من القوانين الديناميكية الحرارية. وقد اهتم بولتزمان بتمحيص هذه الظاهرة، واستخدم في دراستها عبقريته ومقدرته الرياضية، حتى اثبت ان فقدان الطاقة الميسورة الذي يشير اليه القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، ليس الا حالة خاصة من ظاهرة عامة تشير إلى ان كل تحول أو تغير طبيعي يصحبه تحلل أو نقص في النظام الكوني. وفي حالة الحرارة يعتبر تحول الطاقة من الصورة الميسورة إلى الصورة غير الميسورة فقدانا أو نقصا في التنظيم الجزيئي، أو بعبارة أخرى تفتتا وانحلالا للبناء. ومعنى ذلك بطريقة اخرى ان الطبيعة لا تستطيع ان تصمم أو تبدع نفسها، لان كل تحول طبيعي لابد ان يؤدي إلى نوع من أنواع ضياع النظام أو تصدع البناء العام. وفي بعض الحالات قد يسير النظام من البسيط إلى المركب، ولكن ذلك لا يتم الا على حساب تصدع اكبر للتنظيم والترتيب في مكان آخر .ان هذا الكون ليس الا كتلة تخضع لنظام معين، ولابد له اذن من سبب اول لا يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، ولابد ان

يكون هذا السبب الاول غير مادي في طبيعته .انه هو الله اللطيف الخبير الذي لا تدركه الأبصار.))

حساب الاحتمالات يفند الصدفة

لو أخذنا عشرة قصاصات ورقية وكتبنا عليها الارقام من (١-١٠) بالتسلسل ، ثم وضعناها في كيس أو صندوق ثم بدأنا برج الصندوق بقوة ، وبعدها لو أردنا أن نسحب هذه القصاصات الواحدة بعد الاخرى حتى نهايتها ، فيا ترى ما هي نسبة أن يخرج الرقم (١)؟ الجواب هو نسبة (١٠/١) ثم ما هي نسبة خروج الارقام (١،٢) على التوالي؟ الجواب هو (١٠٠/١) . ثم ما هي نسبة خروج الارقام (١،٢،٣) على التوالي؟ الجواب هو (١٠٠٠/١) ، وهكذا حتى تنتهي جميع القصاصات فتكون نسبة خروجها جميعاً متتالية هي (١٠/١بليون) .

فإذا كان هذا حال عشرة قصاصات فقط فما هو حال هذا الكون العظيم الذي يحتوي على ما نعرف وما لا نعرف من الاجرام والمخلوقات وبهذا النظم الدقيق والتناسق الجميل ، فما هي نسبة وجوده صدفة وبهذا الشكل ؟ أن حساب الاحتمالات هنا يقف عاجزاً عن ذكر مثل هذه النسبة ويعرف بأن هذا الكون لا يمكن ان يكون خاضعاً إلا لخالق عظيم حكيم خلق الكون وخلق قوانينه ومنها قانون الاحتمالات .

الدليل الثاني من أدلة فرضية الخلق والتدبير

حدوث العالم : قبل الدخول في بيان هذا الدليل لا بد من التعرف على بعض المفردات والملاحظات التي تدخل في بيانه وهي :

١- **الحادث :** هو الموجود المسبوق بالعدم، أي الذي وجد في مقطع زمني ما ولم يكن موجوداً قبله أو بعده ، ويمكن تسميته بـ(ممكن الوجود) اي الذي يمكن أن يوجد او يعدم ولا ضير في ذلك .

٢- **القديم :** وهو الموجود الذي لم يسبق بالعدم ، أي الذي لا يمكن ان نتصور أنه قد مر عليه آن ما ولم يكن موجوداً ، فالوجود بالنسبة إليه من ذاتياته بخلاف الحادث الذي يكون الوجود بالنسبة اليه عرضياً وقابلاً للزوال . ويمكن أن نسميه بـ(واجب الوجوب) اي أن الوجود لا ينفك عنه بحال .

٣- لكل معلول علة أوجدته ، أي لا بد لكل موجود حادث (وليس قديم) من علة تكون سبباً في أيجاده او إعدامه .

٤- يفترق هذا الدليل عن دليل النظام السابق بأنه يتحدث عن أن حدوث العالم لابد له من علة أحدثه وخلقته ، بينما دليل النظام يستدل بوجود عالم منظم دقيق على خالق عالم دقيق في صنعه وقدرته ، فلا تشابه بين الدليلين .

٥- أن الماديين والالهيين يتفقون هنا على أن الكون قد وجد من العدم ولكن الإلهيين يذهبون إلى أن الذي خلق العالم هو خالق عالم قدير ، بينما يذهب الماديون إلى أن العالم قد وجد صدفة وبلا خالق . فالنتيجة واحدة ولكن الاسباب مختلفة .

أما الدليل فهو : أننا لو أثبتنا أن العالم (بما يحتوي من دقائق) حادث مسبوق بالعدم ، فيلزم منه أنه لابد أن يكون له علّه انتجته وأخرجته من كتم العدم إلى صفحة الوجود ، وإن هذه العلة غير محتاجة إلى شيء ، فهنا مقدمتان ونتيجة في قياس من الشكل الأول كما يقال في علم المنطق :

الأولى : أن العالم حادث .

الثانية : كل حادث محتاج إلى علة أحدثته .

النتيجة : العالم محتاج إلى علة لاحداثه .

وللبيان أكثر نقول في المقدمة الاولى : أن دليل العالم حادث وليس أزلياً (كما يدعي البعض) ما أثبتته اكتشافات العلوم التجريبية الحديثة وفي مقدمتها علم الفيزياء ، حيث ثبت فيزيائياً أن الكون يسير باتجاه موت حراري وشيخوخة اصطلح عليها فيزيائياً بـ(الانتروبي) ، فقد وصل العالم (إسحاق نيوتن) وبعد أبحاث طويلة إلى أن العالم يتجه وباستمرار نحو التفكك والتوسع البرودة والاهتراء ، وسيأتي اليوم الذي تتساوى فيه حرارة جميع الاجسام ، وحينها ستتوقف كل حركة وستترك الحياة مكانها للموت ، ويسمى هذا بالقانون الثاني للديناميكا الحرارية والذي يسمّى أيضاً بقانون الطاقة المتاحة .

إن وجود الحركة والحياة في هذا الكون (كما يقول علماء الفيزياء) إنما هو ينتجه التفاوت والاختلاف الموجود بين أجزائه حرارياً ، فاذا انتقلت الحرارة من جسم حار إلى جسم آخر أقل حرارة منه وتساوت حرارتاهما ومع مرور الوقت تحل البرودة مكان الحرارة ولم يبق مجال للتفاعل الذي هو ناتج عن الاصطكاك والتصادم بين الاجزاء المتفاوتة والفعل وردة الفعل .

وهذا هو الاصل العلمي الذي اتفقت عليه كلمة علماء الفيزياء الحديثة ، ومنه نستنتج أن المادة حادثة وليست أزلية . فلو كان أزلياً للزم أن تبرد فيه الحرارة منذ زمن بعيد ، وأن تنعدم فيه الحياة ، وذلك لأن العالم محدود في طاقاته فكيف يمكن أن يكون هذا العالم موجوداً منذ الأزل وهو يفقد كل يوم هذه الكمية الهائلة من حرارته نتيجة الانفجارات المتلاحقة في ذراته ؟!

****

من ناحية أخرى يدل فقدان الاجسام لحرارتها باستمرار على أن هذه الاجسام (الكون) حادثة اي مسبوقة بالعدم ، وأن وجود الحرارة فيها هو أمرٌ عارض وليس ذاتياً فيها ، وإلا لو كان ذاتياً للزم أن يبقى فيها ولا ينتقل وينفصل عنها ولا يمكن ان نفرض بداية او نهاية .

وللتفريق بين الامر الذاتي وغيره نأتي بمثال واقعي فنقول : إن نفس تساوي أضلاع المربع هو أمر ذاتي له اي أنه ملازم للمربع ما دام مربعاً ، وهذا الحكم بما أنه ذاتي فإنه لا يمكن ان نفرض له بداية أو نهاية ، وهذا الحال يجري على جميع القوانين الرياضة .

هذا ما يمكن بيانه في المقدمة الاولى في الدليل ، أما المقدمة الثانية منه وهي : أن كل حادث محتاج إلى علة أحدثته ، فيمكن القول وبناءاً على أن الكون حادث وليس أزليا أنه لا بد له من علة أحدثته ، وهذه العلة إما أن تكون محتاجة إلى علةٍ أخرى سابقة عليها وأوجدتها ، أو تكون علةٍ وجود الكون غير محتاجة وغنية عن أن يوجدها شيء ، فإن كان الاحتمال الثاني ثبت المطلوب وهو أن لهذا الكون خالق أزلي غني حكيم ، وإلا فسينتقل السؤال إلى تلك العلة المحتاجة في نفسها والتي خلفت هذا الكون ، من الذي خلقها؟ فيأتي نفس الاحتمالين السابقين وهكذا إلى أن ننتهي إلى علة غنية عن الاحتياج والا فاضة من غيرها .

استحالة تسلسل العلل : قد يسأل البعض ، إلا يمكن أن تستمر سلسلة العلل إلى ما لا نهاية ؟ خصوصاً ونحن لم نشهد خلق الكون .

الجواب : إن الموجودات (وهي معلولة لعلة قبلها) لا يمكن ان توجد إلا اذا وجدت عللها ، فإذا أوجدت العلة بجميع شروطها وجد المعلول ، مثل تحقق الاحتراق إذا وجدت النار وارتفعت الرطوبة المانعة وتحقق شرط الاحتراق وهو التقاء النار مع الورقة مثلاً ، ومثال آخر هو سلسلة الآبناء والاباء . فالابن لا يمكن أن يوجد إلا اذا وجد الاب ، والاب لا يوجد إلا ذا وجد الجد وهو بدوره لا يوجد أيضاً إلا اذا وجد أباه وهكذا . فكل هذه الموجودات هي حلقات في سلسلة طويلة متوقفة كل منها على الحلقة السابقة عليها وشروط وجودها بوجود من سبقتها . ولا ننسى أن جميع هذه الحلقات هي حادثة أي محتاجة إلى علة غنية عن الاحتياج والخلق فيكون الحال أما أن نقر بانتهاء هذه السلسلة من العلل إلى علة غنية وهو المطلوب ، وأما ألا يكون هناك أي حلقة من حلقات تلك السلسلة لأن اللاحق متوقف وجوده على السابق

وهكذا . والحال أننا نشاهد هذا الكون وما فيه من مخلوقات كثيرة . وللتقريب نفرض أن أحد الاشخاص أراد امضاء معاملة له في دائرة حكومية . وعند الوصول إلى الموظف المسئول عن ذلك اشترط لإمضائها أن يمضيها موظف آخر ، وعند الانتقال إليه اشترط هو أيضاً لإتمام عمله أن يمضيها شخص ثالث وهكذا . فإن النتيجة ستكون أن هذه المعاملة لا يتم انجازها . وإن صاحب المعاملة سيعود إلى بيته وهو يلعن التسلسل الذي كان سبباً في ايقاف معاملته وعدم انجازها .

فائدة :

اتفق الفلاسفة على أن للأجسام الطبيعية علل أربع :-

١- العلة الفاعلية . ٢- العلة الغائية. ٣- العلة المادية . ٤- العلة الصورية .

فمثلا جهاز الحاسوب إن العلة الفاعلية له تتمثل بالمهندس الخبير الذي صممه وصنعه . والعلة الغائية له تتمثل بالغاية من صنعه . والعلة المادية له تتمثل بالمواد التي صنع منها كالاسلاك والدوائر الكهربائية وغيرها . والعلة الصورية تتمثل بالصورة والشكل النهائي الذي سيكون عليه الحاسوب .

مغالطة وتصحيح : نفهم مما سبق أن قانون العلّية المتفق عليه بين العقلاء وهو (لكل معلول علّة ، فإن قلتم أنه موجود بلا علّة ، ألا يعني هذا أنكم نقضتم القانون السابق المتفق عليه فلا يعود له قيمة علمية ، وإلا فعليكم القول بأن لله علة أوجدته كبقية الموجودات ؟

والتصحيح من وجوه عدة منها :

١- أن السؤال لا يوجه للالهيين فقط ، بل حتى الماديين يجب عليهم الاجابة عنه . حيث يعتقدون بأزلية المادة وأنها هي سبب وجود الكون . فمن أوجد المادة الأزلية ؟

٢- لو لاحظنا أصل القانون لوجدناه ينص على أن (لكل معلول علّة) وليس (كل موجود) والفرق كبير بين التعبيرين . فلا يصح توجيه هذا السؤال اصلاً . فالأزلي والقديم الذي لم يسبق بالعدم لا تشمله هذه القاعدة . فهو خارج عنها تخصصا لا تخصيصاً كما يقال . فالقول بأزلية الله وعدم احتياجه إلى العلة لا يعتبر نقضاً للقانون .

٣- إن القول بأزلية الخالق موافق لقاعدة عقلية تقول (كل ما كان ذاتياً فلا يعلل) أو (كل ما بالعرض لابد أن ينتهي إلى ما بالذات) . وهذه القاعدة العقلية متفق عليها ولها أمثلة كثيرة في كافة المجالات مثلاً :-

أ – طعم الحلاوة الذي نجده في كثيرة من الاطعمة والاشربة ومنها السُكر . ولكن السُكر حلو بذاته لأنه سكُر ، ولكن الشاي مثلاً حلو لأنه قد أضيف إليه السُكر فهو حلو بالعرض ، أي انتهت حلاوة الشاي العرضية إلى حلاوة السُكر الذاتية . وكذا بقية الطعوم (جمع طعم) .

ب – المصباح مضيء بنفسه ذاتياً فهو يعطي الاضاءة ولكن المكان مضيء عرضاً لأنه أخذ الاضاءة من المصباح .

<u>الاشكال الاول: معضلة ابيقور</u>

يدعي الملحد انها من اقوى ادلته على الحاده ان لم يكن اقواها ..... يقول " الشر موجود في الدنيا" فهنا ثلاث احتمالات تفسر وجود الشر :

أ- ليس هناك اله ليمنع وجود الشر

ب- هناك اله يريد منع الشر ولكنه عاجز اذن لماذا ندعوه الها

ج- هناك اله ويستطيع منع الشر ولكنه لايريد اذا فهو شرير

وللجواب عن هذا الاشكال وهو نفسه الذي اورده الفيلسوف اليوناني القديم ابيقور سنحاول ان نوجه القضية للمدعي

في البدء نسأل : هل الشر الذي تستدل له وجود مادي وتحقق خارجي؟(بحسب مبنى الملحد الذي يؤمن بالماديات والمحسوسات فقط)

اذا كانت الاجابة لا فقد بطل الاستدلال على المطلوب من البداية

واذا كانت الاجابة نعم فمن اين اكتسب الشر حقيقته الخارجية هذه؟

هل مصدر هذه الحقيقة الخارجية هو العالم المادي نفسه ؟

فعلى سبيل المثال هل توصف عملية ما كالاعتداء على الاخرين او القتل بلا موجب بانها شر اذا كانت الطاقة المنبعثة منها عشرون كليو جول ام ماذا؟(باعتبار ان هذه الطاقة يمكن قياس مستواها فهي موجودة).

فاذا قلنا بمادية الشر نكون قد ابطلنا معناه من الاساس حيث انه لا توجد علة مادية كافية تجعل من قضية ما شرا او خيرا، أي انه لا يمكن ان نصنع من التراب او القماش ما يمكن تسميته شراً.

فاذا لم يكتسب الشر وجوده المادي الخارجي من عالمنا المادي

فانه قد اكتسبها من عالم مفارق لعالمنا لانه لكل معلول علة موجدة له ،او ان هذا الواقع الخارجي للشر غير موجود اساسا ولا يوجد احتمال ثالث

فان قلت بالاول فقد هدمت الحادك باعتبار ان الملحد لا يؤمن بما لا يراه ويلمسه بحواسه، وان قلت بالثاني فقد هدمت استدلالك كما سلف ..

وحتى لوسلمنا للملحد جدلا بكل مايدعي

فان مشكلة الشر لا ترقى لتكون دليل لعدم وجود الله لان الاحتمال ج وفق استدلال الملحد لاينفي وجود الاله انما يصفه بالشر يعني باختصار هذا الاله موجود فاين الدليل على الالحاد؟!

اضافة الى ذلك وصف الاله بالشرير ناتج عن مغالطة فلو كان وجود الشر يستلزم ان الاله شرير

فان وجود الخير يستلزم ان الاله خير والجمع بينهما محال !

اما وفق الاسلام

فكل شيء مخلوق لحكمة ما حتى "الشرور" التي في الدنيا! فتقدير بعض الشرور في الدنيا لكي يستقيم معنى الابتلاء والامتحان

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}

فالشر ليس هدفه ضرر الخلق بل هدفه اقامة معنى البلاء في دار البلاء (الدنيا)

وهنا نسأل اللادينين سؤال شبيه بسؤال الملاحدة هل الظلم في الدنيا يعني ان اله اللادينيين ظالم ؟!

اذا كانت هذه الحياة الدنيا هي منتهى الامر ولا حياة بعدها فما بال المظلومين الذين ماتوا ولم ينالوا حقوقهم هل خلقهم الهكم الذي تؤمنون به عبثا يظلمون وتنتهك حقوقهم وكل شخص يفعل ما يريد بدون حساب. فاما ان تؤمن باله ظالم او تؤمن ان الدنيا ليست كل شيء وان الكل محاسب على افعاله

الخلاصة :

-مجرد استدلالك بالشر عندها تهدم الحادك

- حتى لو تجاوزنا النقطة الاولى فان ذلك لاينفي وجود هذا الاله بل يصفه بالشرير

- وصف هذا الاله بانه شرير ناتج عن مغالطة وفي كل الاحوال المعني بهذا هو اله اللادينيين الذين لا يؤمنون بالحساب والجزاء او الحياة الاخرى

وليس الاله الحق المتصف بالكمال

فالخوض الحقيقي في مسألة الشر من قبل الملحد يفضي به الى هدم الالحاد او اللادينية

استنتاج:

كل من يتذرع بمشكلة الشر مشكلته نفسية وليست منطقية .

الإِشكال الثاني

إنّ هناك في عالم الطبيعة ظواهر وحوادث غير متوازنة خارجة عن النظام وهي لاتتّفق مع النظام المدّعى ولا مع الحكمة الّتي يوصف بها خالق الكون، كالزلازل والطوفانات.

والجواب عنه: انّ هذا الإِشكال لا صلة له بمسألة النظم فانّ ما تعدّ من الحوادث الكونيّة شروراً كالزلازل والطوفانات لها نظام خاص في صفحة الكون، ناشئة عن علل وأسباب معيّنة تتحكّم عليها محاسبات ومعادلات خاصّة وقد وفّق الإِنسان إلى اكتشاف بعضها وإن بقى بعض آخر منها مجهولاً له بعد.

فيمكنا ان نورد الجواب بنقاط منها :

١- الخير وهوالاصل والشر هو الاستثناء .
٢- الخير والشر أمران نسبيان ، فالعمل الذي أراه خيراً قد يراه البعض شراً .
٣- لو كانت الدنيا نهاية المطاف ، حق للسائل أن يورد هذا الاشكال . ولكنها حلقة تتبعها حلقات أكبر وأعظم وأدوم .
٤- لا تتم معرفة المؤمن الصابر (أمام نفسه وأمام الناس) إلا اذا اصيب فصبر على ما اصابه كي لا يكون للناس على المولى حجة فيما إذا أعطى وكرم الصابر بأنواع الكرامات .
٥- بعض حكمة المولى تظهر للناس معانيها والبعض الآخر لا تظهر في وقتها بل بعد حين وربما في الدار الآخرة ، لمصلحة تقتضي عدم الاظهار . فليس كل ما لا

ندركه يكون بلا هدف وعبث وظلم . وقصة الخضر مع موسى في خرق السفينة وغيرها خير دليل على ذلك .

٦- الذي يعترض على وجود الشر ويجعله دليلاً على عدم وجود الخالق ، مردود بأن ايمانك بالصدفة وعدم وجود خالق مدبر لم يمنع الشرور والألم من الدنيا ، بل على العكس كان هذا الفكر المنحرف سبباً في زيادة الشر بين الناس .

٧- للألم منافع كثيرة منها أن الانسان بعد خروجه من مأزق الالم يشعر أكثر بأهمية الخير والنعمة التي كانت عنده وفقدها مما يجعله أكثر حرصاً في المحافظة عليها وأكثر حذراً من الوقوع فيها ثانية .

٨- لو حققنا في أمر الشر لوجدنا الكثير الكثير منه ناتج عن سوء أعمالنا وقبح تصرفاتنا . فالدول الكبرى أنفقت ما يقارب ٧٣٧ بليون دولار على التسليح في حين أن ٣٠ دولار بليون منها كافية لسد مجاعات العالم ، فالموارد التي على الارض تكفي (بحسب علماء منظمة الوينسيف) لما يزيد عن ١٢ مليار انسان. ولكن جشع الانسان جعل هذه الموارد تتكدس عند فئة دون أخرى .

٩- من جملة منافع الشر أنه يجعل الانسان يطور نفسه ويبتكر الوسائل التي تدفع عنه هذه الشرور ومعلوم أن الأروع الابتكارات كانت لغرض دفع شرور حرب وألم المرض وغيرها .